

الخلافات الحزبية في الكيان الصهيوني بين تهاوي أولمرت وصعود ليبرمان وتقهقر بيرتس

فلسطين / عدنان أبو عامر

يتعلم فك رموز اللغة العبرية حتى اللحظة، وقد تلخصت حياته السياسية بعدد من المحطات الفاصلة، التي تلقي الضوء على أبرزها:

١- ظهر ليبرمان في الساحة السياسية إبان حكومة الليكود عام ١٩٩٦، حين شغل منصب مدير عام مكتب رئيس الوزراء آنذاك، بنيامين نتنياهو، بعد أن أمضى عدة سنوات في صفوف الليكود.

٢- معروف بكونه رجل المهمات القذرة والشخصية الصراعية المثيرة للجدل والأزمات، ولم تسلم أي مؤسسة إسرائيلية أو حزب من لسانه الطويل والسليط طيلة السنوات التي شغل فيها دوراً في السياسة الإسرائيلية، فقد هاجم أعضاء الأحزاب والشرطة، والمحكمة العليا والنيابة العامة.

٣- اضطر للاستقالة بعد سنة واحدة، بسبب ملف جنائي يتعلق بالتهجم على طفل وضربه ضرباً مبرحاً.

٤- شكل عام ١٩٩٩ حزب «إسرائيل بيتنا»، وحصل في انتخابات ١٩٩٩ على أربعة مقاعد، وفي ٢٠٠٣ على سبعة مقاعد، وفي ٢٠٠٦ على ١١ مقعداً بتحالفه مع الاتحاد الوطني، وبالتالي غدا القوة الرابعة في الكنيست.

٥- يتلخص برنامجه السياسي في المطالبة بتججير سكان البلاد الأصليين من العرب، وطرد كل من لا يعتبر أن (إسرائيل) دولة يهودية صهيونية، ولا يعتبر النشيد الوطني الإسرائيلي «هتكفا» نشيده، ويرى أن هدف الصهيونية هو الحفاظ على دولة ذات قومية واحدة، هي اليهودية، وأن وجود أقلية أخرى كبيرة يتناقض مع هذا الهدف، ويدعو إلى تفجير سد أسوان وتدمير طهران.

٦- علماني الأفكار، ويدعو إلى فصل الدين عن الدولة واعتماد الزواج المدني، وتغيير نظام الحكم في (إسرائيل) إلى النظام الرئاسي، ويدعو إلى استقالة الوزراء من البرلمان، على غرار النظام القائم في النرويج.

وقد جاء انضمام ليبرمان إلى الحكومة، وتسلمه وزارة الشؤون الاستراتيجية، تمهيداً لشق طريقه نحو رئاسة الحكومة القادمة، بحيث أن تحليلاً

الوحيد بأزمة الثقة التي أمتت بالجيش الإسرائيلي بعد هزيمتي غزة ولبنان، لأنه دخل الحرب ب«نعليه الكبيرين» دون أن تكون لديه مزايا القائد الذي يسير الآخرون وراءه، في ضوء أنه تعهد في خطابه الأول للجمهور بالقضاء على حزب الله وإزالة التهديد الصاروخي، وبعد أن وعد في خطابه الرسمي أمام الكلية العسكرية بأن تُغير إنجازاته وجه الشرق الأوسط، فلم يتحقق شيء!

وهنا طرح بعض المراقبين أسئلة محرجة: على أي أساس تحدث أولمرت بهذا المستوى المرتفع جداً، هل تحدث على أساس بصيرته وحده، أم بناء على قدرته البيانية؟ أم على أساس ما وعده به حالوتس؟ لقد بات من شبه المؤكد أن رئيس هيئة الأركان هو الذي أفضعه، وبالتالي كان حالوتس هو القائد، وأولمرت هو المقود، وكان هذا التعبير الحقيقي عن مدى تدهور أزمته القيادية!

المؤشر الأكبر على تدهور مستوى أولمرت وتعاضم وورطته الشخصية، جاء في انهيار شعبيته، ليس فقط في صفوف الجمهور الإسرائيلي، بل أيضاً بين أعضاء ومؤيدي حزب كاديما الذي يقوده، حيث سئل مؤيدو الحزب عن الشخصية المناسبة لقيادته ولرئاسة الحكومة، فحصل أولمرت على تأييد ١٦٪ فقط!

صعود ليبرمان

منذ سنوات عديدة بات أفيغدور ليبرمان، يحتل مساحة لا بأس بها من عناوين وسائل الإعلام، وظهر لاعباً رئيسياً على الساحة السياسية الإسرائيلية، بعد أن اعتبره أولمرت طوق نجاته، ولهث خلفه لضمه إلى ائتلافه الحكومي والحفاظ على وجوده السياسي.

كان طبيعياً أن يصعد ليبرمان إلى مستويات متقدمة في الخارطة السياسية الإسرائيلية بعد أن أثبت أولمرت أنه غير جدير بقيادة الدولة بعد سلسلة الإخفاقات التي حققها وتورط فيها، ولذلك جاء ليبرمان مجسداً لقاعدة الإحلال والفرار.

ليبرمان زعيم حزب «إسرائيل بيتنا» من مواليد «مولدافيا»، قدم إلى (إسرائيل) عام ١٩٧٨، وما زال

منذ غياب أرييل شارون عن الخارطة السياسية في (إسرائيل)، وتزعّم يهود أولمرت لحزب كاديما الناشئ، بعد إجراء الانتخابات الداخلية لحزب العمل وفوز عمير بيرتس؛ الطارئ على العمل السياسي، وإعلان نتائج الانتخابات البرلمانية الأخيرة وبروز نجم أفيغدور ليبرمان، كان واضحاً أن (إسرائيل) مقدمة على تغيرات جوهرية ودراماتيكية ستعصف بالوضع الحزبي والسياسي، وستؤثر بالتأكيد على مجريات الأوضاع في المنطقة.

مؤشرات أزمة أولمرت

منذ اللحظة الأولى لاندلاع الحرب الأخيرة ضد لبنان، وقبلها ضد قطاع غزة، كان واضحاً أن طريق يهود أولمرت ليست معبّدة كما توقع، بل غدت درياً شائكة، وأخذت معاناته أبعاداً مختلفة، ومجالات متعددة جعلت شعبيته تنخفض إلى أدنى مستوياتها، ولم يصل إليها رئيس حكومة قبله، مما أفسح المجال بصورة طبيعية لأن يتقدم زعماء آخرون لقيادة الحلبة السياسية، وجاءت أزمة أولمرت مركبة من عدة عناصر، أهمها:

١- «الهزيمة» التي مني بها جيشه أمام المقاومة الفلسطينية التي تزعمتها حركة حماس في قطاع غزة، وتوجتها بعملية الوهم المتبدد.

٢- «الورطة» التي وقع فيها خلال حرب لبنان بعد أن غرّره قادة الجيش وأوهموه أن بإمكانهم إحراز النصر خلال عدة أيام.

٣- «الفضيحة» التي تلاحقه منذ ما قبل صعوده لمقعد رئيس الحكومة، المتعلقة باختلاساته ورشاويته.

ونتيجة لذلك، فقد عثر الرجل على نفسه وهو متجرد من كل أسباب القوة، ومبررات الزعامة، الأمر الذي أعلى صوت المطالبين بإقالته، واستبداله بزعامة تليق بـ(إسرائيل)، في إشارة إلى جيل التأسيس الذي غاب عن الأنظار بمرض شارون، علماً بأنه يمارس السياسة منذ أربعين عاماً، لكنه وهو المحامي السابق ما زال يفتقر إلى القدرة على إلهام الجماهير.

وبالتالي وجهت الاتهامات لأولمرت بأنه المتسبب